Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويسخر من البخل خاصة لأنه غير عقلي ـ وهكذا يمكن باختصار أن نفهم كل مضمون (كتاب البخلاء) الذي يكتب في مقدمته لكاتبه ما يلي: ولِمَ احتجوا (البخلاء) مع شدة عقولهم ـ لما أجمعت الأمة على تقبيحه، ولم فخروا ـ مع اتساع معرفتهم بما أطبقوا على تهجينه. وكيف يفطن عند الاعتلال له ويتغلغل عند الاحتجاج عنه إلى الغايات البعيدة والمعاني اللطيفة، ولا يفطن لظاهر قبحه وشناعة اسمه وخمول ذكره وسوء أثره على أهله.

وكيف وهو يجمع له بين الكد وقلة المرزئة وبين السهر وخشونة المضجع، وبين طول الاغتراب وطول قلة الانتفاع، ومع علمه بأن وارثه أعدى له من عدوه، وأنه أحق بماله من وليه، أوليس هو أظهر الجهل والغباوة وانتحل الغفلة والحماقة، ثم احتج لذلك بالمعاني الشداد، وبالألفاظ الحسان وجودة الاختصار وبتقريب المعنى وبسهولة المخرج وإصابة الموضع، فكان ما ظهر من معانيه وبيانه مكذباً لما ظهر من جهله ونقصانه. ولم جاز أن يبصر بعقله البعيد الغامض ويغبى عن القريب الجليل[1])(٥٧ ـ ٢)، فالبخل يحمل في طياته أحد عناصر الغباء والجهل، وتحطيم أنغام العُقل والعقلية، ولهذا يجب أن يطرد بالضحك والسخرية منه، ولقد سقنا هنا مثلاً من (كتاب البخلاء) ذلك لأن هذا الكتاب واحد من المؤلفات الساطعة المضيئة في ذلك العصر، هذه المؤلفات الكثيرة التي تسخر من البخل، وباتفاق مع هذه الآراء الموجهة ضد النواقص وكأنها تحطيم وانحراف عن طبيعة الإنسان العقلية، يمكن أن تعرض أخرى: التبذير والإسراف والجبن... إلخ.

(١) البخلاء للجاحظ، طه الجابري، ص ٢ من المقدمة.